

المبحث التاسع

نفع الناس بمواساتهم
وإعانتهم في أمراضهم

إن الإسلام يحثنا على أن ننظر إلى المريض نظرة رفق ورحمة ، ويحثنا على عونه ومواساته في مرضه ، لأن هذا يكون له أثر طيب في رفع معنوياته في الوقت الذي يشعر أنه كالجواد الذي كبا ، يتطلع إلى من يأخذ بيده لينهض .
وقد حث الإسلام على عيادة المريض ، وبَيَّنَّ عِظَمَ ثوابها ، ففي كثير من حديث النبي ﷺ يأمر بهذا .

❖ عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عودوا المريض وأطعموا الجائع ، وفكوا العاني » (١) .

❖ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « من عاد مريضاً ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأ من الجنة منزلاً » (٢) .

❖ ويبين أن عيادة المريض هي بمثابة زيارة لله - عز وجل - فيقول كما في الحديث القدسي : « يقول الله - عز وجل - يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ! ، قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ ، قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ؟ ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ » (٣) .

وأمر كذلك بمحاولة تقديم العون والنفع والمساعدة للمريض بقدر المستطاع ، بالدعاء له ، فقد كان النبي ﷺ إذا عاد مريضاً دعا له .

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : دخل النبي ﷺ على أعرابي يعوده ، وكان إذا دخل

(١) البخاري برقم (٥٦٤٩) ك المرضي .

(٢) صحيح المتجر الرابع (٨٩٧) وقال : رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٣) مسلم برقم (٤٣) في البر والصلة .

على من يعودده قال : « لا بأس طهور إن شاء الله » (١) .

وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال : « من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض » (٢) .

وذات يوم كان الصحابة جلوساً عند النبي ﷺ فلُدغ رجلٌ بعقرب ، فقال رجل من الجلوس أرقيه يا رسول الله ؟ ، يستأذنه ، فقال النبي ﷺ - موجهاً أصحابه جميعاً لتقديم العون لأخيهم - : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه بشيء فليفعل » ، وفي رواية « فلينفعه » (٣) .

ويفهم من هذا الحديث الذي يروي واقعة يأمر فيها النبي ﷺ بتقديم النفع أنه ينبغي ألا يتأخر من يستطيع نفع أخيه المريض بمداواته وإسعافه ورقّيه والدعاء له بالشفاء ، ويدخل في هذا نفع الناس ببناء المستشفيات لهم وتوفير الدواء ، بل وما أعظم هذا الفعل ، فكم من مريض لا يجد الدواء ، فيا رجال الأعمال وأرباب الأموال ، اقتطعوا جزءاً من أموالكم ، خففوا به عن مريض ألمه ، ولو أن تُخرجوا زكاة أموالكم كما أفتاكم بذلك بعض العلماء لما يئسوا أن تتطوعوا !!! .

وعندما نتحدث عن نفع الناس وإعانتهم في أمراضهم ، فإن الأمر يوجّه بصورة أخص إلى الأطباء المسلمين أن يجتهدوا ويحصلوا الجديد في الطب ويكفونا مؤنة التطفل على موائد الطب الغربية، وأن يرفقوا بالناس فيما يحصلون منهم على أجور . ويؤسفنا أن فئة من الأطباء اتخذوا هذا العمل تجارة ووسيلة لتحصيل المال فقط ، دون أن تكون عنده نظرة أخروية ، فربما يؤتّى بمريض في حالة قصوى من

(١) البخاري برقم (٥٦٥٦) ك المرضي .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٤٨٠) وقال : رواه أبو داود والترمذي ، وحسنه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري .

(٣) هذا ليس لفظ الحديث ، بل معناه ، وهو في مسلم برقم (٢١٩٩) .

المرض ، ويمتنع الطبيب عن معالجته ومداواته إلا أن يدفع المريض المبلغ الذي يحدده الطبيب !! .

فيا أمة الإسلام : انظروا إلى ما تفشى في الأمة من أمراض فتاكة وأدواء عضال ، وانظروا يا أهل الصحة والعافية إلى أهل المرض والبلاء ، وليتخيل كل منّا نفسه لو كان مبتلى في صحته بالمرض - والعياذ بالله - كم تكون حاجته إلى العون من إخوانه والتخفيف عنه ؟ .

وبعد هذا النظر المصاحب للفكر والتأمل : ليتفاعل من أراد الله به خيراً لنفع إخوانه في أمراضهم ، وليُعرض من يُعرض .

إذا رأيت المرضى ولم ترق لهم ، ولم يتحرك قلبك فاعلم أن هذا دليل حرمانك وقسوة قلبك ، أسأل الله لي ولك العافية والهداية .

